

مُقَدِّمَةٌ بَيْنَ

يَدَيِ الْكِفَايَةِ

هذه مقدمة مهمة ذكرها (سماحة السيد الأستاذ ضياء الخباز  
دامت بركاته) عنده شروعه في إحدى دورات الكفاية في فترة  
سابقة، ونظرا لأهميتها واحتوائها على فوائد جلييلة، تم طالب  
الكفاية خصوصا وطالب العلم عموما، ارتأيت أن أقوم بتفريغها  
من الصوت إلى الكتابة النصية، وتنسيقها كتقرير، مع تعديل ما  
يلزم تعديله، ليتسنى لإخوتي الطلبة الرجوع إليها وقت الحاجة،  
وليسهل عليهم الوصول إلى المعلومة التي يريدونها. وإليك هي:

قبل الشروع في مطالب كتاب الكفاية الشريف لابد من الوقوف على مقدمة مهمة، لنكون على بصيرة في كيفية التعامل مع مطالب الكتاب، والحديث في جهات:

**الجهة الأولى: مميزات كتاب الكفاية.**

وهناك عدة ميزات نكتفي بالإشارة إلى اثنتين منها:

**الميزة الأولى: أنه يمثل برزخ الأصول.**

ونقصد بذلك أنه يمثل حلقة الوصل بين أصول المتقدمين والمتأخرين، ومرادي من المتقدمين من تقدم على المحقق الآخوند قده، إذ أنّ المرحلة المتقدمة على كتابه كانت مرحلة مهمة ومفصلية في علم الأصول، حيث كانت لها مفاصل مختلفة كان من شأنها أن تبلغ بعلم الأصول ذروته في ذلك الزمان، والفضل في ذلك يعود إلى رواد هذه المرحلة كالوحيد البهبهاني، وصاحب الفصول، وصاحب هداية المسترشدين، وصاحب القوانين، قدس الله أسرارهم جميعاً.

وكانت كتبهم تمثل مناهج دراسية أساسية في زمانها كالقوانين والفصول وكذا هداية المسترشدين، وإن كان الكتابان الأخيران أقل تداولاً من الأول كمتن حوزوي.

ولكن هذه المرحلة التي بلغ فيها علم الأصول ذروته، كان لصاحب الكفاية تنظر في معطياتها العلمية، حيث قام بدور التشذيب والتشطيب لبعض ما وصلت إليه هذه المدارس الأصولية، فعمد إلى اختصار بعض المطالب الأصولية التي أُسهبَ فيها كثيراً، كما أنه تأمل في مطالب السابقين فنقض بعضها وشيد آخر، وناقشها بمناقشات دقيقة ومحكمة، وهذا ما ستلاحظونه عند المرور بمطالب الكفاية.

ومن هنا صحَّ لنا أن نقول: أنه فتح آفاقاً جديدة في علم الأصول، وهذا الفتح الجديد صار مائدة لمن جاء بعده، فأغلب من جاء بعده - كالمحقق الأصفهاني والميرزا النائيني والمحقق العراقي، ومن جاء بعدهم من تلامذتهم - كانت جهودهم متممة لجهود صاحب الكفاية وأنظارهم شاخصة إلى ما أفاده.

وهذا هو ما عنيناه بقولنا: أن إحدى مميزات هذا الكتاب هي البرزخية بين أصول المتقدمين والمتأخرين، وبالتالي فإنَّ من يتعامل مع الكفاية يكون على صلة بما انتهى إليه المتأخرون من مطالب، كما أنها تجذّر وتؤصّل ما أفاده المتقدمون.

**الميزة الثانية: أنها تمثل العصب الأساس للأبحاث الأصولية.**

باعتبار أن محور الأبحاث العليا في الأصول هو آراء صاحب الكفاية، فلا يكاد يخلو درس أصولي يلتحق به الطالب سواء على مستوى السطح العالي أو على مستوى بحث الخارج من آراء صاحب الكفاية ونظرياته.

على أنّ غالب الأبحاث الأصولية العليا تكون على ضوء منهج الكفاية، وإذا لم يكن على ضوءها فإنَّ الرأي الأول الذي يتداول عادة في الأبحاث العالية ويكون محوراً لبقية الآراء هو رأي المحقق الآخوند.

وهاتان الميزتان تكفيان لبيان أهمية هذا الكتاب وجلالة قدره.

الجهة الثانية: كيف يتعامل الطالب مع متن الكفاية؟

ويمكن تلخيص كيفية التعامل مع متن الكفاية في خطوات:

الخطوة الأولى/ التحضير، بحيث تكون عند الطالب صورة إجمالية عن المطلب قبل حضوره للدرس.

وهنا يأتي سؤال مهم، وهو كيف نحضر مطالب الكفاية؟ وهذا السؤال حتى نجيب عنه لا بد من الوقوف على شروحات الكفاية والحواشي والتعليقات التي كتبت عليها، باعتبارها مفتاح تحقيق هذه الخطوة.

ومما يجدر ذكره أنه نظراً لجلالة قدر الكفاية كمنهج درسي فقد كُتبت عليه العشرات من المؤلفات ما بين شرح وتعليقة وحاشية، وهذه المؤلفات لا بد من النظر لها من زاويتين حتى تتم الاستفادة منها على الوجه الأمثل في عملية التحضير:

الزاوية الأولى: أقسام هذه الشروح من حيث نوعية الاستفادة منها.

نستطيع أن نقسم ما كتب على الكفاية - من حيث المستفيد منها- إلى أربعة أقسام:

١- ما هو مفيد للطالب بالدرجة الأولى، مثل: الوصول إلى كفاية الأصول.

٢- ما هو مفيد للأستاذ والطالب معا، ومثال ذلك منتهى الدراية.

٣- ما هو مفيد للأستاذ بالدرجة الأولى، كحقائق الأصول للسيد الحكيم قده، وهو حاشية مهمة على كتاب أستاذه المحقق الآخوند، إلا أنّ استفادة الطالب منه قليلة قياساً لاستفادة الأستاذ منه.

٤- ما هو مفيد لبعض الأساتذة دون بعض، كحاشية المحقق الأصفهاني المعروفة بنهاية الداربية، وحاشية المحقق الإيرواني المسماة بنهاية النهاية، وحاشية المحقق القوجاني، وحاشية سلطان العلماء

الأراكي، وحاشية المحقق المشكيني تلميذ صاحب الكفاية (قدس  
الله أسرارهم جميعاً).

وإني لأتذكر أنّ أحد أجلاء أساتذتي (أدام الله فوائده) كان يقول:  
لو عثرتُ على مدرس يدرّس حاشية المشكيني حقّ تدرّيسها  
لقصدته، مع لحاظ أنّ هذا الأستاذ المعظم قد قال لي ذلك في  
وقت تدرّيسه لمتون السطح العالي، وهو كان حينها من المدرسين  
المدققين.

والحاصل: فإنّ الشروحات والتعليقات والحواشي على الكفاية  
ينبغي التمييز بينها حتى تحصل الفائدة منها، وإلا فإنّ الطالب  
سيتشتت ذهنه بينها إن لم يعرف ما يحتاجه منها، وعليه فإنه لا بد  
له من ملاحظة ما يناسبه من الشروح بحسب حاله، وكذا يراعي  
مستوى فهمه لها، فإنها تختلف من حيث التعقيد والسهولة.

**الزاوية الثانية: أقسام هذه الشروح من حيث طريقة الشرح.**

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام من حيث طريقة الشرح:

## ١- الشروح التي تعنى ببيان العبارة.

من قبيل الوصول إلى كفاية الأصول، وهداية العقول في شرح كفاية الأصول، للسيد محمد علي الحمامي الذي كان معروفا بتدريسه للكفاية في النجف الأشرف، وهذان الشرحان متشابهان جداً.

## ٢- الشروح التي تعنى بالمضمون.

ومن أبرزها عناية الأصول إلى كفاية الأصول، للسيد مرتضى الفيروزآبادي أعلى الله مقامه.

## ٣- الشروح التي جمعت بين العبارة والمضمون.

من قبيل منتهى الدراية، وقريب من ذلك الكفاية بأسلوبها الثاني، وأيضاً بداية الوصول إلى كفاية الأصول للشيخ آل راضي قده. وبعد الالتفات إلى هذه الزاوية نقول: إنَّ طالب الكفاية يحتاج إلى فهم العبارة وفهم المضمون أيضاً، لكونهما يكملان بعضهما، ولا بد من اختيار الشروحات التي تساعد على تحقيق هذين الأمرين معاً.

## نصيحة ثمينة:

ولا أنسى ها هنا أن أذكر نصيحة قد نصحني بها عالم أصولي جهذ - وهو المرجع السيد محمد الروحاني قدس الله نفسه صاحب منتقى الأصول - حيث سألته عند بداية دراستي للكفاية عن الشرح الذي ينبغي لي مطالعته ، فأشار عليّ بكتاب عناية الوصول للمحقق الفيروزآبادي قدس الله نفسه، وهي نصيحة من أصولي كبير تسترعي الانتباه لهذا الكتاب والاهتمام به .<sup>١</sup>

## تنبيهات:

١ - قد تواجه الطالب مشكلة الحيرة في اختيار الشرح المناسب من بين عشرات الشروح، ولكن هذه المشكلة يمكن تجاوزها من خلال التجربة التي ينبغي أن يقوم بها خلال الأيام الأولى من

---

<sup>١</sup> هذه النصيحة نقلها سماحة السيد في نهاية المقدمة، وألفت إلى أنه كان يريد ذكرها عند حديثه عن الشروح ولكنه نسي ذلك، فناسب أن نقرها هنا.

حضوره لدرس الكفاية، فيطالع العديد من الشروح ثم ينتخب منها الشروحات الملائمة له، ولا ينبغي له أن يستمر في مطالعة كل ما كتب من شروحات، فإنَّ هذا مما يتسبب في التشويش وبذل المزيد من الجهد والوقت.

وقد سمعت من أحد فضلاء أساتذتي (حفظه الله) نقله عن أستاذه الشهيد السيد عبد الصاحب الحكيم (طاب ثراه) قوله باللهجة الشعبية: " من طالع الحواشي ما حوى شي"، بمعنى أنَّ من شتت ذهنه بين الحواشي الكثيرة سيضيع عليه أصل المطلب.

٢ - وينبغي الالتفات إلى أنَّ الهدف من دراسة الكفاية بالدرجة الأولى هو فهم ما يريده صاحب الكفاية، وتأصيل تلك المطالب في الذهن وفهمها فهما جيدا، وأما مرحلة النقض والابرام المطولة فلها محلها ووقتها.

٣ - وينبغي الالتفات أيضا إلى أنّ محور الكلام هو الطالب ذو الاستعداد الذهني المتعارف والذي يكون فهمه واستيعابه طبيعيا كما هو الغالب، وأما من كانت له القدرة الذهنية التي تمكنه من استيعاب حواشي متعددة ومطالعتها مع فهمها فلا يعمه ما ذكرناه.

### الخطوة الثانية/ الكتابة.

وها هنا زاويتان:

### الزاوية الأولى: لماذا الكتابة مطلوبة؟

الكتابة مطلوبة لأمر:

### الأول: الامتحان الذاتي للنفس.

فإن الطالب لا يحتاج بالضرورة إلى أن يمتحنه أستاذه ليعرف هل فهم الكفاية أم لا، إذ بمقدوره أن يمتحن نفسه من خلال الكتابة امتحانا ذاتيا، فإنه إن استطاع أن يكتب المطالب ويقررها بعد حضوره لدى أستاذه فهذا يكشف عن فهمه للمطالب

واستيعابها، وأما إذا وجد نفسه حائراً في كيفية صياغة تقرير  
الدرس، أو يحتاج إلى مراجعة الشروح كثيراً، فهذا يكشف عن  
وجود خلل في استيعابه للمطالب بشكل تام.

ولا نعني بالكتابة - التي تترتب عليها هذه الثمرة - هي تفرغ  
الدرس من التسجيل، بل نعني بها التقرير اعتماداً على الفهم.

### الثاني: ترسيخ المطالب.

فقد قيل قديماً: (ما كُتِبَ قر وما لم يكتب فر)، فالمطالب حينما  
يتلقاها الطالب من المدرس يكون لها درجة من الرسوخ، ولكن  
حينما يكتبها تزداد درجة رسوخها، وهذا أثر وجداني للكتابة لا  
يحتاج إلى مزيد كلام.

### الثالث: حفظ العلم للنفس وللغير.

وقد قالوا قديماً: (العلم صيد والكتابة قيد)، ولو أن كل طالب قد  
كتب كل ما درسه لحفظ علما كثيرا.

وإني لأتأسف جدا على بعض المدرسين الذين لم نعاصرهم،  
ولكنهم - بحسب المنقول في أحوالهم - كانوا على مستوى عالٍ

في تدريس متون السطح العالي، كالشيخ مجتبي اللنكراني قده الذي كان أستاذا مميزا في النجف الأشرف ودرس على يده كثير من الأعلام، إلا أنّ دروسه لم تصل إلينا، ولو أنها قررت وطبعت لحفظ علم جم لهذا العالم فيما يرتبط بفهم مطالب الكفاية.

وكذا الشيخ أبو الحسن الأنواري قده، والذي كان مدرسا معروفا في النجف الأشرف، وقد قيل إنه درّس الكفاية ٣٠ دورة، ولكن هذه الخبروية بمتن الكفاية لم تصل إلينا للأسف الشديد.

ولا ندّعي إنه لم يقرر أحد من تلامذة هذين العلمين لهما شيئا، فهو أمر بعيد، إلا أنه لم يصلنا شيء من ذلك، ولو وصلنا لأفدنا منهما الشيء الكثير.

وكيف كان، فإنّ الكتابة تحفظ ما يتلقاه الطالب من المعلومات والمعارف، وهو المستفيد الأول منها.

## الرابع: توفير الجهد والوقت.

فمن يريد أن يتباحث في الكفاية أو يريد تدريسها مستقبلاً، بدلاً من أن يطالع شروحات متعددة، ويحاول استعادة ما فهمه منها، سيوفر عليه ما كتبه وقرره أثناء دراسته جهداً ووقتاً كثيرين.

ومن المؤسف أن يغفل بعض الطلبة عن هذه القضية في وقتها، ثم يندم عليها في وقت لاحق، فإن الطالب المجد في مرحلة بحث الخارج يحتاج إلى وقته احتياجاً شديداً، ولو صرف هذا الوقت على مطالعة شروح الكفاية - لاشتغاله بتدريسها مثلاً - لضيع عليه وقتاً كان ينبغي له أن يصرفه في دروس الخارج التي يحضرها، ولكنه سيحتفظ بهذا الوقت فيما لو كان قد اهتم بكتابة دروس الكفاية حال دراستها.

## الزاوية الثانية: كيفية الكتابة.

ينبغي أن تشمل الكتابة لدرس الكفاية على أربع خصوصيات:

### ١ - الاحتفاظ بالأفكار الأساسية للدرس.

فينبغي الحذر من الاختصار المخل، إذ أنّ بعض الطلاب يكتب الدروس على نحو الاختصار، وهذا قد يكون مخلاً من جهة عدم استيعابه للأفكار الأساسية.

وزيادة في الإيضاح نقول: إنّ الطالب حينما يكتب الدرس مختصراً قد يفهم حينها ما كتب، نظراً لأنسه القريب بالمعلومة، ولكنه بعد طول العهد قد لا يفهم ما اختصره، أو قد يفهمه ولكن بشكل غير دقيق كما كان يفهمه سابقاً، والسبب في ذلك يعود إلى المنهج الخاطئ الذي كان يتبعه في طريقة الكتابة.

نعم لا بأس أن يهذب الدرس ويختصره اختصاراً غير مخل بأفكاره الأساسية.

## ٢- المحافظة على الهيكل العامة للدرس.

فعندما يريد أن يقرر الطالب ينبغي عليه أن يحافظ على الهيكل العامة التي سار عليها أستاذه، وكيفية ربطه بين كل مطلب ومطلب، وكيفية وروده إلى المطلب وخروجه منه، وعرضه لنكاته؛ إذ أنّ الطريقة الفنية لعرض المطالب تعبّر عن مدى فهم المدرس

للكتاب ونكاته، وهذه عادة ما تكون نتيجة مراس وخبروية  
تستحق الاهتمام.

نعم، لو لم يكن المدرس ممن يهتم كثيرا بنظم أفكار الدرس فللطالب  
أن يتولى تلك المهمة بمقدار طاقته.

### ٣- عدم الخلط بين مطالب المطالعة ومطالب الدرس.

فإنَّ البعض في مقام كتابة الدرس يقوم بتقرير ما استفاده من  
أستاذه وما استفاده من مطالعته، وهذا من الاشتباهات؛ إذ الذي  
ينبغي في مقام تقرير الدرس هو ضبط ما أفاده الأستاذ، والدقة في  
حفظ فهمه الخاص لمطالب الكتاب بالدرجة الأولى، فالمقام مقام  
تقرير وليس مقام تأليف ليسرد في كتابته كل ما استفاده من  
مطالعته المختلفة.

على أنه إذا أراد في وقت آخر مراجعة مطلب معين لغاية تدريسه  
أو مباحثته، فإنه سيحتاج إلى مطالعة نفس بيان أستاذه، وخلط  
مطالب المطالعة مع مطالب الدرس قد يضيِّع عليه ذلك، فلن  
يستطيع أن ينسب فهم مطلب معين إلى أستاذه لهذا السبب.

نعم، له أن يستخدم أسلوب التهميش والتذييل على مكتوباته لدروسه، مع التنبيه على أن الفائدة الكذائية من مطالعته - مع ذكر مصدرها - لا من نفس بيان أستاذه، تجنباً للمحذور المذكور.

#### ٤- اللمسة الصياغية.

لابد أن يكون التقرير مشتملاً على لمسة صياغية تميزه كتقرير مكتوب لا مجرد تفرغ لنص مسموع، لأن مقام البيان يختلف عن مقام الكتابة،

فلابد من الطالب حينما يريد أن يقرر درسا أن يراعي هذه الجنبية، فيحذف الكلام الزائد، أو التكرار الذي لا داعي له، أو الكلمات العامية.

وهذا النوع من التشذيب والتهذيب - وإعادة الصياغة - له أثر في صقل قلم الطالب وزيادة ملكة البيان الكتابية عنده، وهو مما ينفعه في موارد متعددة، كالتأليف مثلا.

### الخطوة الثالثة: خطوة المباحثة.

وهي مهمة، ولها ثمار عدة منها: (جلاء المطالب ورسوخها)، فكما أن الخطيب إذا أراد أن يحاضر ويوصل فكرة دينية معينة، يحتاج أن يستوضح الفكرة في ذهنه ويفكر في كيفية إيصالها ليتمكن من توضيحها للآخرين، كذلك هي المباحثة ومثلها التدريس.

فالمباحثة تكسب هذه الثمرة وهي جلاء المطالب واستيضاحها، خصوصا المباحثة التي تكون من خلال القرعة، إذ أنها تلزم المتباحثين بالتحضير والتهيؤ المسبق، وهذه الثمرة واضحة لا تحتاج إلى مزيد بيان.

#### تنبيه:

١- ولكن ينبغي الالتفات إلى أن الطالب لا بد له أن يختار المباحث المجد المحصل الذي يعينه على فهم المطالب الغامضة، وتصحيح فهمه الخاطئ لبعض المطالب، والمشجع له على

التحصيل والمثابرة، وأما إن لم يكن كذلك فالمباحثة معه قد لا تكون لها أدنى ثمرة.

٢- ولا بد أن يختار الطالب للمباحثة شخصا يتلاءم مع طريقة تفكيره ومزاجه الدراسي، فإنه لو اختار شخصا له خصوصيات مختلفة فيما يرتبط بمنهج التفكير والتحصيل ربما لا تكون المباحثة معه ذات فائدة كبيرة بالنسبة إليه.

فمثلا لو كان الطالب يميل إلى تحليل المطالب، فلا يمر عليه مطلب إلا ويسأل عن دليله، ويتفحص عن نكته، ويحاول الربط بين المطالب المتعددة، وهكذا، فإنَّ مباحثته لن تجدي نفعاً إلا إذا كانت مع طالب مثله، وأما لو كان المباحث يتعامل مع المطالب تعامل التعبد، ويحاول أن يركز جهده على الفهم السطحي للمطالب من غير التدقيق في تحليلها، فإنَّ المباحثة معه لن تؤتي أكلها.

الجهة الثالثة: وصايا متفرقة.

الوصية الأولى: السعي إلى فهم مطالب الكتاب وإن طال الوقت.

فالطالب للكفاية يحتاج أن يتقنها اتقاناً تاماً، ولا ينبغي أن يكون همه هو الانتهاء منها كيفما اتفق.

ومما ابتلينا به في هذا الزمان هو العجلة والسرعة، بحيث حتى لو أن الطالب حاول أن يحافظ على اتقانه للكتاب، قد يكون الجو المحيط به لا يساعده على ذلك، حيث يرى زملاءه قد طووا الكتاب طياً سريعاً وهو لم يبرح فيه، وهذا قد يوجب له شيئاً من الاحباط والتشيط، فيجره ذلك إلى مجاراتهم وإن لم يتقن فهم مطالب الكتاب.

ولا يعني ذلك أن يترك الطالب نفسه على الراحة فلا ينتهي من الكفاية إلا بعد سنين طوال زائدة عن المتعارف! وإنما يعني ألا

يكون إنجاز دراسة الكتاب على حساب إتقانه، بحيث تكون مهمة الطالب هي حضوره لبحث الخارج.

وهناك كلمة مهمة قد سمعتها من غير واحد من أساتذتي وهي: "أنّ اتقان كتب السطح العالي نصف الاجتهاد"، فإنّ من يتقن الكفاية والرسائل والمكاسب أستطيع أن أقول أنه لم يتبقى عليه إلا القليل ليصل إلى ملكة الاجتهاد، بينما لو لم يتقن هذه المتون فإنه لو وصل لبحث الخارج فسيحتاج أن يرمم النصف الذي لم يكتمل، حتى يشرع في إكمال النصف الآخر، وهذا يطول أمره! وليس على الانسان أن يغتر بمسألة حضور البحث الخارج - كما هو دأب بعض طلبة هذا الزمان - فيفرح أن يقال له (هذا من طلاب البحث الخارج) إن لم يقل ذلك عن نفسه! والحال أنّ طالب السطح العالي قد يكون أفضل منه علمياً، لأنه لم يتقن دروس سطحه العالي أو لم يتمها.

فليس المهم أن يحضر الطالب أبحاث الخارج كيفما اتفق، بل المهم هو السعي إلى أن يبني نفسه علميا من خلال الالتزام بالمنهج الدراسي المتعارف.

والحاصل: فإنَّ عنوان طالب الكفاية وعنوان طالب بحث الخارج مجرد عناوين قد لا تعكس من الواقع العلمي شيئا، والذي يعكس الواقع هو مقدار البناء العلمي لدى الطالب.

**الوصية الثانية: الاهتمام بدراسة الجزء الثاني من الكفاية.**

فلعل بعضهم يكتفي بدراسة الجزء الأول، وينتقل إلى الرسائل ومنها للبحث الخارج، وهذا اشتباه كبير، فإن الجزء الثاني من الكفاية يشتمل على مغامم مهمة قد لا تكون موجودة في أي متن آخر.

ولو استطاع الطالب أن يدرس الجزء الثاني من الكفاية في عرض دراسة الرسائل فإن ذلك غاية المنى، بحيث يتفق مع أستاذ الرسائل أن يدرّسه مطلب الرسائل، ومتى ما انتهى منه يدرّسه مطلب

الكفاية الناظر إلى مطلب الرسائل، فإنَّ ذلك مما يُغتنم، إذ الجزء الثاني من الكفاية ناظر للرسائل، وكأنه حاشية عليه.

ولذلك من الجيد جدا أن يجمع الطالب بين دراسة الجزء الثاني من الكفاية ودراسة الرسائل، لا أن يدرس الجزء الأول من الكفاية ثم يدرس الرسائل ثم يدرس الجزء الثاني من الكفاية، إذ أنَّ الأستاذ على ضوء هذا المنهج سيضطر إلى تقرير مطلب الرسائل مجدداً لأجل أن يبين مطلب الكفاية الناظر له، مع أن الطالب قد درسه سابقاً بحسب الفرض، وهذا مما يسبب طولاً في المسافة مع إمكان اختصارها.

تمت المقدمة بحمد الله تعالى...

قام بتقريرها/ أحد تلامذة سماحة السيد حفظه الله.  
القطيف، ١٠/٦/١٤٤٠هـ